رهاب الإسلام في فرنسا: بين الثالوث الإسلاموفوبي والمثلّث الدّراماتيكي

Islamophobia in France: between the Islamophobic triad and the dramatic triangle.

ط.د/ أمينة قلعي

مخبر السّياسة الدّفاعيّة للجزائر: الواقع والأفاق–جامعة الجزائر 03 (الجزائر)

aminakolai@gmail.com

تاريخ الارسال: 2023/10/05 تاريخ القبول: 2023/12/14 تاريخ النشر: 2024/06/15

ملخص: تسعى هذه الدّراسة إلى تسليط الضّوء على ظاهرة «الإسلاموفوبيا»، والّتي عرفت انتشارا كبيرا في السنوات الأخيرة وبالأخص على الأرض الفرنسيّة، أين بات الإسلام بكل ما يتّصل به ونتيجة لتسارع شدّة تأثير الأحداث الدّاخليّة والخارجيّة مصدر قلق وتهديد ليس للسّياسة العليا الفرنسيّة فقط بل يتعدّاها إلى سياستها الدنيا، ومن خلال تتبّع كرونولوجيا تطوّر الظاهرة في فرنسا يتّضح جليّا مدى مساهمة «الثّالوث الإسلاموفوبي» في صناعتها، تفشّيها مجتمعيّا وزيادة أرقامها، كما وأفرز احتكاك المسلمين في فرنسا بمركّبات «الثّالوث الإسلاموفوبي» علاقة سيكومجتمعية، تترجمت في ثلاثيّة الضّحيّة، الجلاّد والمنقذ المتغيّرة بحسب الطّرف المتحدّث، ليتمّ الرّبط من خلال هذا المقال بين مضموني «الثّالوث الإسلاموفوبي» و«المثلّث الدّراماتيكي» من أجل تفسير وتحليل ظاهرة «رهاب الإسلام» في فرنسا.

الكلمات المفتاحية: *ظاهرة الإسلاموفوبيا؛ الثّالوث الإسلاموفوبي؛ المثلّث الدّرماتيكي.*

Abstract*: The present study seeks to shed light on the phenomenon of "Islamophobia" that has widely spread in recent years, especially on the French land. Where Islam and everything related to it; and as a result of accelerating intensity of the impact of internal and external events; have become as a source of concern and threat not only on the French high policy, but it goes beyond its low policy. And through tracing the chronology of the enlargement of the phenomenon in France, it is quite clear the contribution of the "Islamophobia Triad" in its industry, socially widespread and the increase in its numbers. Indeed, the contact of Muslims in France with the components of "Islamophobic Triad" has produced a psycho-sociological relationship translated into the trilogy of victim, executioner and saviour, and that change according to the speaker to link the content of the "Islamophobic Triad" and the "Dramatic Triangle" for the interpretation and the analysis of the Phenomenon of "Islamophobia" in France.*

key words: *The Phenomenon of Islamophobia; The Islamophobic triad; The Dramatic Triangle.*

.مقدّمة:

انطلاقا من فكرة أن الإسلام ليس بالظاهرة الحديثة أو الطّارئة على الأرض الأوروبية عامة والفرنسية على وجه الخصوص كونها جزء من هذه القارة، فإنّ أي محاولة لفهم تطور ظاهرة الإسلام في فرنسا وتحوله وانتقاله من مجرد قضيّة عادية إلى قضيّة مُؤمننة لا تمس السياسة العليا للدولة فقط بل تتعداها إلى السياسة الدنيا؛ وهو الأخطر كونه بات يمس صفاء الهوية الفرنسية والأوروبية على حد سواء حسب الطرح الفرنسي/الأوروبي، كل هذا يستدعي ويحتّم ضرورة فهم مصطلح «الإسلاموفوبيا» في إطارها العام، ومن ثمّ التّطرّق إلى دور مركّبات «الثالوث الإسلاموفوبي»(The Islamophobic triad) في صناعة رهاب الإسلام في فرنسا، لنصل أخيرا إلى تحليل العلاقة السيكومجتمعيّة المتولدة عن تداعيات «ظاهرة الإسلاموفوبيا»(Islamophobia Phenomenon) في فرنسا.

وعلى ضوء ما سبق، ولمعالجة هدف هذا المقال نطرح السؤال المركزي الآتي:

كيف يؤثّر ويفسّر كل من المثلّثين الإسلاموفوبي والدّراماتيكي في صناعة رهاب الإسلام في فرنسا؟

1. بروز مصطلح الإسلاموفوبيا:

1.1 مصطلح الإسلاموفوبيا:

يعد مصطلح «الإسلاموفوبيا» من المصطلحات حديثة التداول نسبيا في قاموس المصطلحات الأكاديمية، على الرغم من كونه يُعبّر عن ظاهرة قديمة حديثة، فالتحيز والتعصب تجاه الإسلام هو رُهاب قديم، كما وكان سمة مميزة للمجتمع الغربي والنفسية الأوروبية منذ القرن السّابع(2008, p. 8) وبالرجوع إلى الدّراسات الأكاديمية الغربية نجدها تشير إلى أن النشأة الأولى لاستخدام مفهوم «الإسلاموفوبيا»؛ سُجّلت سنة 1912م باللغة الفرنسية(2013, p. 3)

ليعود المصطلح للظهور مجددا في عشرينيات القرن الماضي أين استخدمه "هينريلامينس" (Henry Lamans) -مستشرق بلجيكي-، في سياق كتابه عن الرّسول عليه الصّلاة والسّلام، ليُستخدَم المصطلح أيضا في كتاب "إيتيان دينيه"(Etienne Dini) -رسام فرنسي استشراقي- موسوم: «الشرق كما ينظر إليه الغرب»(المالك، 2009).

كما وتتفق الدراسات على أنّ الاستخدام الأول لهذا المصطلح كانت سنة 1925م من قبل "إيتيان دينيه" وسليله "سليمان بن إبراهيم" (Suleiman bin Ibrahim)، حين كتبا حول النّبي عليه أفضل الصّلاة وأفضل التّسليم «وصول الهذيان ضد الإسلام»(accès de délire islamophobie)(chris، 2010)

في حين لم يتم تسجيل «مصطلح الإسلاموفوبيا» باللّغة الإنكليزية إلاّ في النصف الثاني من القرن العشرين، ليُصبح أكثر استخداما أواخر الثمانينات على أعقاب الفتوى الإيرانية ضد "سلمان رشدي"(Salman Rushdie)على إثر نشره لكتابه: «الآيات الشيطانية»(the satanic verses)، وبهذا يبدو أن مصطلح «الإسلاموفوبيا» ظهر لأول مرة في بريطانيا خلال قضية "رشدي" في أواخر الثمانينات، وظهر هذا عبر محاولة من أُطلق عليهم «المسلمون الأصوليون» لإسكات المنتقدين للإسلام؛ مثل: "رشدي"

ومؤيّديه لحرية التعبير، وكانت حجتهم في ذلك أنّ «الخوف من الإسلام» هو الذي سمح بتمرير هذا دون عقاب من المجتمع والدولة البريطانية، وبذلك يظهر أن «انتقاد الإسلام» هو بمثابة «رهاب إسلام» وهو بالتالي خارج الحدود.(2013, p. 3)

ويعتبر "ماليه إميل"(Mali Emile) أول من استعمل لفظ «الإسلاموفوبيا» من الكتاب الفرنسيين، في مقال نشره في «جريدة لوموند» (Le Monde Newspaper) الفرنسية 1994م بعنوان «ثقافة ووحشية» (culture et brutalité) أين تحدّث عن صنف من «الإسلاموفوبيا» الزّاحفة(صالح، صفحة 7)

في حين اشتهر مفهوم «رُهاب الإسلام» على صعيد الرأي العام عبر تقرير «رهاب الإسلام» (Islamophobia Raport)؛ الصادر عن منظمة «The Runnymede trust» 1997م وهذا عقب صياغته لأول مرة سنة 1996م من قبل لجنة المسلمين البريطانيين، لتُصدر المنظمة في السّنة التّالية تقريرها الشهير «الخوف من الإسلام تحد لنا جميعا»(2008, p. 13) وقد كان هذا التقرير طريقا مختصرا للإشارة إلى الخوف أو كراهية الإسلام؛ وبالتّالي الخوف أو الكراهية لكلّ أو معظم المسلمين.(2013, p. 3)

كما تبنت هذه المسودة «اللّجنة الأوروبية لرصد التمييز العنصري ورُهاب الغرب» (EUMC)، كما ونشرت تقريرْين عن «رُهاب الإسلام» في الفترة الممتدة من ماي 2000م إلى سبتمبر 2006م.(بيليفيلد، 2008، صفحة 110،111)

ليتصاعد استخدام مصطلح «الإسلاموفوبيا» من قبل مراكز البحث والإعلام الفرنسي؛ عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر2001م وبعض الأحداث التي وقعت في القارة الأوروبية.

فالمراجعة السريعة لتكرار ظهور مصطلح «الإسلاموفوبيا» في بعض أشهر الجرائد الغربية، حسب الإحصائيات التي قدمتها دائرة البحث الإلكترونية الأمريكية (Lexis Nexis) تكشف الزيادة المُطّردة في استخدام مصطلح «الإسلاموفوبيا» من الفترة الممتدة من 2001م إلى 2006م، والجدول الآتي يرصد عدد مرّات ظهور المصطلح في أكثر الجرائد الغربية شهرة.

جدول رقم 01: تكرار مصطلح الإسلاموفوبيا في أشهر الجرائد:

البلد:	اسم الجريدة:	2001	2002	2003	2004	2005	2006	المجموع:
جرائد بريطانية	British Times	12	12	13	34	44	92	207
	The Guardian	14	29	20	50	44	38	195
	The Independent	22	15	11	37	42	30	157
كندية	Toronto Star	3	3	1	11	18	38	74
أمريكية	New York Times	2	2	3	7	4	10	28
	Washington Post	2	3	2	2	5	5	19

المصدر: (بيومي، 2008)

من خلال قراءة تكرار استعمال المصطلح في المجلات الغربية، نجد التكرار الأكبر كان من نصيب جريدة «تايمز البريطانية».

2.1 تعريف الإسلاموفوبيا:

تعددت المصطلحات والعبارات التي تشير إلى العداء تجاه الإسلام والمسلمين (العنصرية ضد الإسلام وكذا معاداة السامية)، إلا إن المصطلح الأكثر شهرة على نطاق واسع هو مصطلح «الإسلاموفوبيا» أو ما يُعرف أيضا بـ: «رهاب الإسلام»، فالمتمعن في المصطلح يجده يتكون من جزأيْن والمخطط الآتي يوضح ذلك.

الشّكل رقم 01: أقسام مصطلح الإسلاموفوبيا:

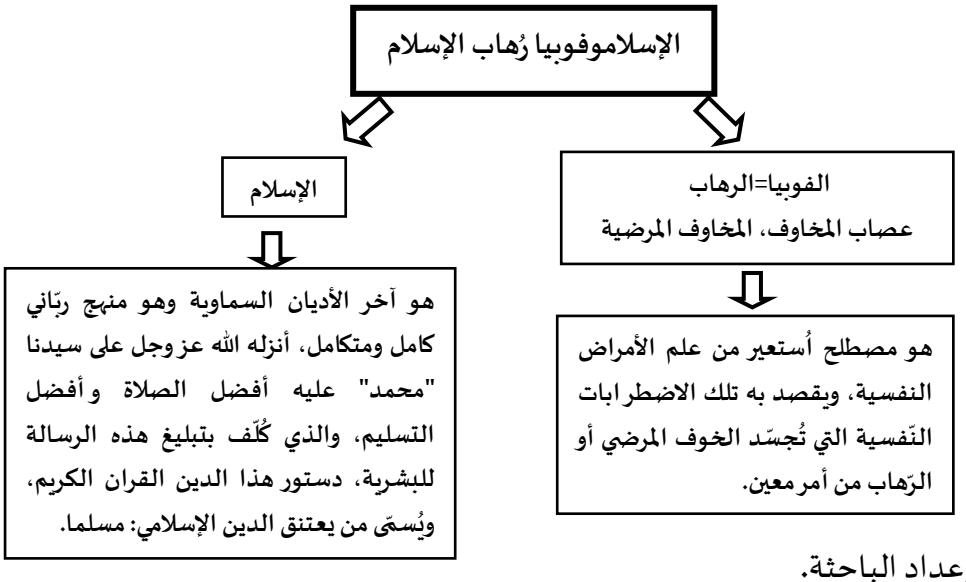

المصدر: من إعداد الباحثة.

انطلاقا من المخطط نجد أن «الإسلاموفوبيا» في أبسط تعريفاتها هي: خوف غير مبرر من الإسلام والمسلمين، وبالتالي فجوهر هذه الظاهرة هو استياء على أساس الدين بالدرجة الأولى. وبالرجوع إلى ضبط مفهوم «الإسلاموفوبيا» نجد أن هذا الأخير تعددت التعريفات المنوطة به، وهذا باختلاف الانتماء الفكري والبيئي لصانع التعريف؛ فالتّعريف المقدَّم من قبل دعاة «ظاهرة الإسلاموفوبيا» يختلف في مضمونه عن التّعريف المقدّم من قبل ضحايا هذه الظاهرة، وهو ما يولّد ثنائية «نحن» و«الآخر» حتى في مجال تعريف هذه الظاهرة، ولعل هذا ما صعّب مهمة بناء تعريف جامع مانع لمفهوم «الإسلاموفوبيا».

كما سُجلت عدة محاولات لصياغة تعريف دقيق لظاهرة «الإسلاموفوبيا»، وذلك للانتقادات التي وُجّهت للعديد من التعريفات، ففي مقالة نشرها «التحالف الدولي للحريات المدنية»(ICLA)2013/09/20م بعنوان: «إشكالية تعريف الإسلاموفوبيا» (The problematic Definition of Islamophobia)، اعتبرت أن مصطلح «الإسلاموفوبيا» بالمعاني الّتي قدمها أصحابه مصطلح غير دقيق؛ لا يلبي الحد الأدنى من معايير منطق التّماسك والموضوعية، لذا لابدّ من إيجاد تعريف دقيق بحيث يكون مقبولا عند المسلمين، منتقدي الإسلام والأحزاب المغرضة على حد سواء، كما قدّم المقال شروطا لصياغة تعريف «الإسلاموفوبيا» بحيث تغيب فيه المصطلحات الجزئية الموضحة في

الشكل أدناه، الباعثة على توليد مشاعر التخويف وتهميش الأشخاص، وبالتالي لا ينبغي أن تُستخدم في أي تعريف رسمي دون أن تعرّف تعريفا دقيقا، فتضمينها في تعريف «الإسلاموفوبيا» هو إشكال في حد ذاته، لذا لابد من معرفة معاني تلك المصطلحات قبل توظيفها في أي تعريف، فتضمين التعريف لثلاث منها يُسقطه مباشرة، وبذلك وبالرجوع إلى هذا المقال اعتبر تعريف"تاموتتوبكوغلو" (UmutTopcuoglu) مرفوضا(2013, pp. 4,5,18)كونه يحوي أكثر من مصطلح فرعي:

«الخوف من الإسلام هو شكل معاصر من العنصرية، وكره الأجانب بدافع الخوف، الريبة والكراهية التي لا أساس لها من الصحة».

«Islamophobia is a contemporary form of racism and xenophobia motivated by unfounded fear, mistrust,and hatred of Muslims and Islam»(2003, p. 2)

وهذا التعريف يتفق مع التعريف الذي قدمه عالم الاجتماع السياسي الفرنسي في معهد البحوث والدراسات العالمية بباريس "Vincent Geisser"، أين اعتبر «الإسلاموفوبيا» شكلا حديثا من العنصرية ضد المسلمين، فهي لا تعبر عن عودة المعارضة القديمة «الحروب الصليبية ضد الجهاد» على الرغم من بقاء تلميحات تعبر عن حجج لاهوتية يعتمدها أنصار«الإسلاموفوبيا».

الشكل رقم 02: المصطلحات الجزئية المغذية لمفهوم الإسلاموفوبيا:

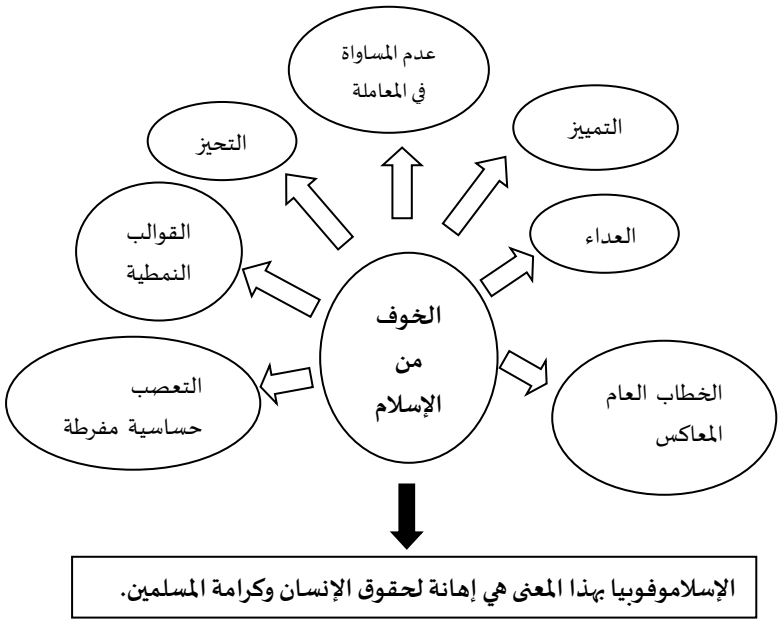

المصدر: من إعداد الباحثة بالاعتماد على:(2013, p. 2)

وكخلاصة نقول أنّ «الإسلاموفوبيا» هي: ظاهرة تعبر عن مشاعر سلبية لا قاعدة سببيّة يقينيّة لها تجاه كلّ ما يتّصل بالإسلام كدين.

وبناء على كل ما سبق وبالرجوع إلى شروط صياغة تعريف للإسلاموفوبيا، التي تضمنها مقال: «إشكاليّة تعريف الإسلاموفوبيا»، نقدّم التعريف الآتي الذي يلبي الحد الأدنى من معايير المنطق، التماسك والموضوعيّة.

ففي أبسط معاني «الإسلاموفوبيا» نجدها تعبر عن خوف لا أساس له تجاه دين الإسلام وكل ما يتصل به، وبالتّالي فمجرّد إعطاء حجة تبرّر الخوف من الإسلام والمسلمين يُسقِط معنى «الإسلاموفوبيا».

كما وأسهمت الدراسة التي أصدرتها منظمة « Runnymede trust »1997م في محاولة تقديم تعريف للإسلاموفوبيا، والذي قصدت به: «الخوف وكراهية الإسلام أو المسلمين أو الثّقافة الإسلامية» « Fear and/ or hatred of Islam, Muslims or Islamic /Muslim culture».

وفي هذا الإطار حددت « Runnymede trust» ثمانية مكونات كخصائص للإسلاموفوبيا:

أ. النّظر إلى الإسلام باعتباره كتلة متجانسة، مستقرة وغير مستجيبة للتغيير.

ب. اعتبار الإسلام منفصلا ومتميزا عن الآخر، وليس لديه قيم مشتركة مع الثقافات الأخرى فضلا عن ذلك لا يتأثر أو يُؤثّر فيها.

ت. اعتبار الإسلام أدنى مكانة ومرتبة من الغرب، إنّه بربري غير عقلاني بدائي وجنسي.

ث. اعتبار الإسلام عنيفا وعدوانيا يُهدّد ويُدعّم الإرهاب والصّدام مع الحضارات الأخرى.

ج. اعتبار الإسلام أيديولوجية سياسة، يُستخدم لتحقيق مصالح سياسية أو عسكريّة.

ح. الرفض التام لأي نقد يمكن أن يُقدّمه الغرب.

خ. استعمال العداء تجاه الإسلام لتبرير أي ممارسات تمييزية تجاه المسلمين، من أجل إقصائهم وتهميشهم في المجتمع الذي يتواجدون فيه.

د. اعتبار مشاعر العداء تجاه المسلمين أمرا طبيعيا وعاديا.(considine, 2017, p. 6)

2. الثالوث الإسلاموفوبي وصناعة رهاب الإسلام في فرنسا:

أخذت ظاهرة «الإسلاموفوبيا» تستشري وبقوّة في الأوساط الفرنسيّة، لتصبح أيديولوجيّة ترتبط بتلك النظرة الاختزالية والصورة النمطية السلبيّة للإسلام ومعتنقيه من المهاجرين، باعتبارهم كتلة منغلقة رافضة للرّوح العلمانيّة، وبالتّالي للاندماج الكلّي في المجتمع الفرنسي مثلما حدث مع الأقليّات الأخرى.

لا شكّ في أنّ هذا التحوّل في صورة الإسلام في العقل الفرنسي الأوروبي تقف وراءه أسباب عدّة؛ نسجت مخرجاته تاريخيّا حكاية تطوّر ظاهرة «الإسلاموفوبيا» في فرنسا، وإحصائيّا أرقاما تؤكّد تحوّل مفهوم «الإسلاموفوبيا» إلى ظاهرة قابلة للقياس في فرنسا.

كما ولعبت مركّبات «الثّالوث الإسلاموفوبي» (The Islamophobic triad) باعتبارها مظاهرا للإسلاموفوبيا في فرنسا دورا كبيرا في بلورة وتنامي مشاعر الخوف تجاه كل ما يرتبط بالإسلام مجتمعيّا؛ وهو ما نحاول تبيانه فيما سيأتي:

الشّكل رقم 03: الثّالوث الإسلاموفوبي:

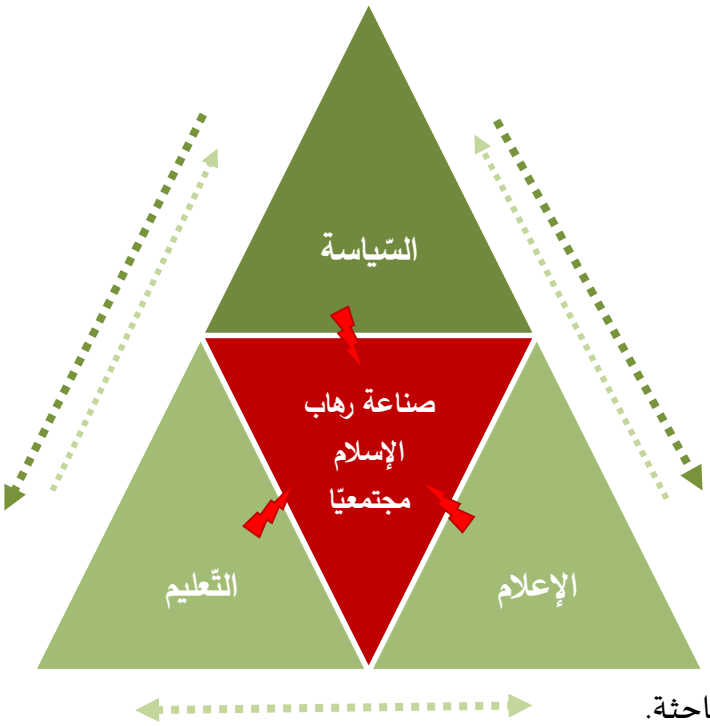

المصدر: من إعداد الباحثة.

1.2 الإعلام الفرنسي وصناعة الإسلاموفوبيا مجتمعيّا:

يشكّل الإعلام السلطة الرّابعة من حيث التأثير على الرّأي العام؛ ولكن هذه السلطة تقفز وقت الصّدمات والأحداث الحامية إلى المرتبة الأولى؛ وهو ما ظهر بوضوح في الحالة الفرنسيّة عندما تتبعنا كرونولوجيا تطور «ظاهرة الإسلاموفوبيا» أين كان للإعلام الفرنسي الحصّة الأكبر في إبراز إشكاليّة المُغايرة أو الآخريّة (Altérité) فظهرت بوضوح ثنائيّة «نحن» و«الآخر» في مختلف السياقات الضمنيّة والظاهرة، الكتابيّة والشفويّة للإعلام الفرنسيّ الذي سار وفق خطّين متوازيين من أجل فرض صورة نمطيّة سلبيّة عن الآخر المسلم، وهو ما يوضحّه المخطط الآتي الذي يبين المسار التّصويري لثنائية «نحن» و«الآخر» وفق الإعلام الفرنسي:

شكل رقم 04: المسار التّصويري لثنائية «نحن» و«الآخر» وفق الإعلام الفرنسي:

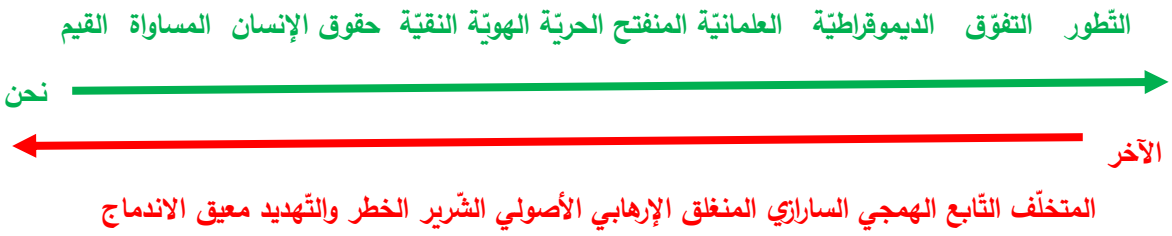

وعبر هذا المسار التّصويري القائم على اعتبار الإسلام والمسلمين مصدر خطر على الهويّة والأمن الفرنسي، سعى وليزال الإعلام يسعى إلى التلاعب بعقول ومشاعر القراء المستقبلين لهذا الخطاب؛ وهذا من خلال عناوين المقالات والحصص التلفزيونيّة التي باتت تركز على هذا النوع من الموضوعات، إلى جانب

رسومات توضيحية وصور تُظهر رجالا ملتحين بوجوه عبوسة وعنيفة، أو نساء محجبات كليا، مما يعطي انطباعا إشكاليا حول وجود هذا الدين والتشكيك في شرعيته وأحقيته في التواجد بهذا البلد، بالإضافة إلى ذلك نلاحظ هيمنة حقل معجمي يرتكز أساسا على الخوف من الإسلام والتخويف بالمسلمين، فالصحافيون يسعون بذلك إلى خلق مناخ ضار بين الديانتين(للتّوسع انظر: أحمد اليعكوبي، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث)؛ وبالتالي بين المواطن الفرنسي المسيحي والمواطن الفرنسي المسلم وخاصة مع استغلال الأحداث كـ: «شارل إيبدو» أو «قضية الحجاب» ما أسفر على خلق شرخ مجتمعي تترجم في كم الاعتداءات المختلفة التي تلقتها الجالية المسلمة في فرنسا وهنا يمكن العودة إلى إحصائيات مركز CCIF.

كانت هجمات 11 سبتمبر2001م لحظة محورية في تطور التغطية الإعلامية للإسلام في فرنسا؛ أين أصبح موضوعًا سياسيا -مسألة الحجاب على جدول الأعمال (لجنة ستازي، قانون 15 مارس 2004م)-؛ قلقًا صحفيا وموضوعا للنقاش، خاصّة مع تحديد وتعريف المسلمين على أنهم تهديد لقيم المجتمع الفرنسي وهو ما يوضّح الإسقاط الفعلي لمقاربة «الأمن المجتمعي»، وهنا طُرحت إشكالية الهوية الوطنية (2009م-2010م) وخاصة مع بروز قضايا مثل: قضيّة المآذن(2009م) أو الجدل حول صلاة الشارع، أو قانون حظر إخفاء الوجه في الأماكن العامة...إلخ؛ ليعود موضوع الإسلام للمناقشة الإعلامية فترة «الربيع العربي» وخاصة مع قضية الحلال و"مرّاح" كمحركيْن للجدل الإسلامي الذي رُبط بالعنف في فرنسا.

ومن هذا يتّضح أنّ التغطية الإعلامية للإسلام في فرنسا تتبع مجريات الأحداث الدّوليّة والمحليّة (الهجمات؛ الحروب والمناظرات السياسية وما إلى ذلك)؛ ومن الأمثلة البارزة محليا هجمات «شارل إيبدو» الّتي وُظّفت بامتياز في مهاجمة الإسلام، أمّا دوليا أحداث سبتمبر2001م والربيع العربي. فالإسلام بات مادة إعلامية دسمة وذلك راجع للعنف الذي دمى الشرق الأوسط، وربط الإسلام بقضايا اجتماعية تهدد المواطنة العلمانية (الحجاب، الحلال، الأضاحي...)، أمّا عن مناقشة الإسلام في فرنسا فمرتبط بالنقاشات حول علاقة الإسلام بالعلمانية والقيم الجمهورية، ارتداء الحجاب أو الهوية الوطنية (للتّوسّع انظر:(L’islam, objet médiatique L’islam dans la presse quotidienne nationale - 1997-2015

فقراءة المضامين الإعلامية باختلافها تُظهر الخلط بين الإسلام الحقيقي والإسلام العنيف المشوّه، والخلط بين المسلم السلمي ومرتكب أعمال العنف باسم الإسلام، وهذا الخلط المتعمّد في كثير من الأوقات يُولّد الخوف المجتمعي تجاه الآخر المختلف، وهو ما يؤكّد أن نوع الدعاية المعتمدة إعلاميا هي دعاية اجتماعية الغرض منها غرس فكرة معينة (المسلم والإسلام تهديد فعلي) بمضامين اجتماعيّة محددة للتأثير على المجتمع في وقت معين.

وبالرجوع إلى الوثائقي المعدّ من قبل قناة «الجزيرة» 2012م حول «الإسلاموفوبيا»، وبعض المقالات إلى جانب الاطّلاع على كتاب «الإسلام الخيالي»(L’islam Imaginaire) لـ:"توماسديلتون"(Thomas Delton) نجد أن الكلّ يقرّ ويتّفق على أنّ الصّورة الّتي ينقلها الإعلام الفرنسي عن الإسلام والمسلمين هي صورة سلبية حادّة؛ تبسيطيّة؛ اختزالية؛ تقزيمية للإسلام واعتباره عدوّا (شيطنة الإسلام) هذا من زاوية ومن زاوية أخرى فإن الرؤية الفرنسية للإسلام ما هي إلاّ ترجمة للتراكمات السلبيّة حوله داخل الفضاء التاريخي

الأوروبي والفرنسي المتوارثة عبر الأجيال، وكذا بعض الممارسات السّلبية السائدة في الفضاء المجتمعي الإسلامي، فالصورة التّهويليّة التي نقلها الإعلام والتي تنم عن جهل بالإسلام الحقيقي ساهمت وبدرجة كبيرة في توسيع فجوة اللاّتفاهم بين الأنا (المجتمع الفرنسي) والآخر(المسلم الفرنسي).(للتوسع انظر: (Deltombe, L'islam imaginaire La construction médiatique de l'islamophobie en France, 1975-2005, 2007).و (الصّادق، 2006، الصفحات 39-21).

وإذا ما ربطنا هذا العنصر بمقاربة «الأمن المجتمعي» نجد أنّه من الخطأ تجريم وإدانة الإعلام الفرنسي بصورة مطلقة على الرّغم من سعيه للرّبح المادّي من هذا الموضوع في غالب الأحيان، فالحقيقة الّتي لا يمكن تجاهلها أنّ الإعلام ما هو إلاّ انعكاس لواقع المجتمع الفرنسي، وبالتالي يقتصر دوره في إعادة إخراج وتضخيم الصورة المرسومة عن الإسلام في مخيلة المجتمع الفرنسي، فالإعلامي هو مواطن فرنسي بالأساس وبالتالي هو جزء من مجتمعه ينقل ما تربى عليه من جهل حول الإسلام، أو كره تشرّبه من التّرسبات التاريخية الاستشراقيّة، فالآخر واقعيّا لم يتغيرّ هو ذلك الأجنبي؛ المهاجر والعامل في السبعينيّات وبداية الثمانينيّات وهو ذاته المسلم اليوم، إلاّ أنّه إعلاميا تغيّر وهو ما يظهر حجم الانزلاق اللّفظي في الإعلام الفرنسي في تصوير الآخر؛ والعمل على قولبته في صورة المغاير المخيف وهو ما يعزّز مشاعر الإسلاموفوبيا مجتمعيا؛ والتي تُرجمت في أعمال العنف (هنا يمكن الرّجوع إلى أرقام الإحصائيّات).

2.2 السّياسة وصناعة الإسلاموفوبيا مجتمعيّا:

من الأمور المتفق عليها أن الآلة الإعلامية تسير جنبا إلى جنب مع الآلة السياسية، وهو حال العينة الفرنسيّة ففي كل محطّة تاريخية يظهر التزاوج الفعلي بين الإعلام والسياسة الفرنسيّة، أين يتم توظيف الإعلام لتمرير وتبرير أي سياسة تقرها الأحزاب أو حتى الدّولة، وبالعودة لصناعة الإسلاموفوبيا تصرّح "نبيلة رمضاني"(Nabila Ramdani)(صحفية مستقلة): «أنّ الصّورة السيئة للإسلام لا يسيطر عليها السياسيون، بل هم الذين يصنعونها»، أي أنّ الإعلام ما هو إلا مضخّة لأفكار الشريك السياسي؛ وهنا نفهم عمق التأثير والضغط الذي تمارسه السياسة على الإعلام؛ وبالتالي فصناعة الإسلاموفوبيا ليست صناعة إعلامية محضة بل هي مزيج من الاثنين معا، وما يؤكد هذا هو التواطؤ السياسي في العديد من القضايا الإعلامية الماسة بالإسلام والمسلمين في فرنسا كتبرئة «شارل إيبدو» مثلا، وفي خضمّ هذا التحليل نشير لنتائج الدّراسة التي قامت بها منظمة «مراسلون بلا حدود» 2010م أين احتلت فرنسا المرتبة 44 من حيث حرية الصحافة من أصل 178 دولة(Soonckindt-Chauchard) ؛ وهو ما يؤكّد الطرح المتعرض له والمقر بتبعيّة الإعلامي للسياسي؛ فمهما كانت درجة التبعية قوية أو ضعيفة فإن المتضرّر الأول الانسجام المجتمعي الفرنسي؛ فبدلا من تسليط الضوء على القضايا التي تهم المجتمع كالبطالة والقوة الشرائية عمد الإعلام إلى نشر الخوف والعداء بدوافع سياسية غايتها صرف انتباه الجمهور عن هذه القضايا المهمة.

وبالعودة للفضاء السياسي الفرنسي في تعامله مع الإسلام والمسلمين؛ نجده فضاء غير متجانس وذلك لتضارب مواقف أطرافه، فهناك من يتعامل باللين بحثا عن حل يرضي الطرفين (الأنا والآخر) كالجمهوريين واليساريين في كثير من الأحيان؛ وهناك من يتّبع سياسة عدائية حادّة تجاه كل ما يتصل

بالإسلام؛ فالحديث عن «الإسلاموفوبيا» في صلتها بالآلة السياسية هو حديث عن الدّور الذي يلعبه «اليمين المتطرف»(Far right)؛ أين يشكل العداء للأجانب، رفض الأقليات وفكرة التعددية الثقافية، الدّفاع عن هوية إثنو-وطنية وعن التقاليد القومية التاريخية وكذا الدعوة إلى الحد من الهجرة، القاعدة المشتركة لمختلف البرامج السياسية لأي حزب يميني متطرف، فالتأثير الأيديولوجي والصراع الثقافي هو أساس المنطق الاستراتيجي والتنظيمي لليمين المتطرف، فضلا عن الهدف المؤسسي المشترك مع مختلف أطراف الخارطة السياسية الحزبية الفرنسية وهو استغلال قضية الإسلام، المسلمون والهجرة المسلمة لتحقيق أهداف انتخابية أو ما يُعبّر عنه بالرّبح السياسي وفي هذا السياق كيف تظهر صورة المهاجرين المسلمين لدى أقصى اليمين؟ الإجابة باختصار ينظر «اليمين المتطرف» للآخر باعتباره سببا رئيسيّا للبطالة؛ الجريمة ومظاهر أخرى للأمن المجتمعي، وكمستغل بسوء لما توفره دولة الرّفاه الفرنسيّة له، وبهذا كانت أحزاب «اليمين المتطرف» في مقدمة الأصوات التي تبنت الخطاب الإسلامافوبي في فرنسا، بل أنّ مبادئها المذكورة سلفا ترشحها لتكون أحزابا إسلامافوبيّة بامتياز، وقد أكّد "زيكيت" (J. P Zuquete) في دراسته «اليمين المتطرف والإسلام» أنّ هذه الأحزاب معادية للإسلام وأنه طوال العشريّتين الماضيتين كان أحد أهم انشغالاتها ما تعتبره تهديدات منبعثة من الإسلام والمسلمين المقيمين في أوروبا، والملاحَظ أن العديد من المبادرات تم تقديمها من قبل «اليمين المتطرف» في أوروبا عبر استراتيجيات مشتركة عبر وطنية ضد ما سَمَّوه «أسلمة أوروبا»؛ هذا المفهوم الذي حظي بنقاش واسع في الأدبيات اليمينية في الغرب، وهو ما يعني أن المسلمين الذين يمثلون حضارة دونية يحصلون على مزيد من التغلغل والنفوذ بما يكفي لتشكيل تهديد حقيقي للهوية الأوروبية، في حين يقوم الفكر اليميني المتطرف على فكرة «الاستعلائية» بين دعاته؛ بمعنى أنهم أرفع وأفضل من نظرائهم المسلمين، وأن الهوية الأوروبية محل تهديد من قبل أولئك الأقل شأنا وتعدّ «الجبهة الوطنية الفرنسية» أول حزب استخدم «الإسلاموفوبيا» في دعايته السياسية وحملته الانتخابية للتخويف من الإسلام والمسلمين(زغوني، الإسلاموفوبيا وصعود اليمين المتطرّف في أوروبا: مقاربة سوسيوثقافيّة، 2014، صفحة 123،136،136)؛حيث يُتيح تعريف الإسلام على أنه دين المهاجر للجبهة الوطنية فرصة لإبراز قضية «الهجرة» المفضلة لديها، مما يدين قراءة الهوية التي كانت للجبهة في ظل "جان ماري لوبان" (Jean-Marie Le Pen) يد فيها؛ وعودة الدفاع الصارم عن «الهوية الوطنية» ضد أخطار الأسلمة مع "مارين لوبان"(Marine Le Pen)عبر تذكيرها بخطر «الغمر المهاجرة»(Migratory Submersion)، والتي تعتبرها عاملا مدمرا للهوية الوطنية، وكما تعمل على إثارة الخوف من الغزوات الهمجية الجديدة أو الاحتلال من خلال صلاة الشارع(Ivaldi)وكمثال يتوافق مع هذا العرض نذكر الاستثمار السريع الذي قامت به الجماعات اليمينيّة والفاشيّة بمجرد ظهور رواية «الاستسلام»(La Soumission) لصاحبها "ميشيل ويلبيك" الّتي أرعبت الفرنسيّين من التداعيات المترتبة على فوز مفترض لأحد المسلمين بالرئاسة في انتخابات عام 2022م(مروفل، 2010، صفحة 166).

وبالرّبط بين المركب السياسي «اليمين المتطرّف» والأمن المجتمعي الفرنسي، نجد أنّ الأوّل استطاع أن يلتقط ذلك الشعور بعدم الأمان وعدم الثقة لدى الأوروبي في عالم متغير بسرعة، وخاطبه عبر خطاب سياسي قائم على التمييز بين «الأنا» و«الآخر» وهو ما يعد خروجا عن منطق نظريّة «الأمن المجتمعي»؛ وفي الوقت نفسه يؤكد الحاجة إلى الحفاظ على «الهوية الوطنية» ضد التأثيرات الخارجية والثقافات الداخلية وقدم التزاما بالحماية (جوهر الأمن المجتمعي)، فالتناقض الحاصل في الخطاب لا يحقق الاندماج والأمن المجتمعيين بل يعمق مشاعر الخوف وبالتالي إقامة حواجز مجتمعيّة، واللّعب على هذا الوتر وتهويل تعداد المسلمين وتوقع تعادله مع المسيحيين بحلول 2050م الأمر الّذي لا صحّة له واقعيا، كل هذا مكّنه من النجاح بينما فشل اليمين واليسار التقليديان؛ وما ساعد أكثر على اقتناع المواطن الأوروبي بخطابه، كونه أصبح مرنا بما فيه الكفاية ليتموقع ضمن السياق السياسي والثقافي، واستطاع أن يحرر نفسه من الخطاب التقليدي الذي يركز على الفوقية، الدونية، الفروق البيولوجية والعداء للسامية، ليتبنى خطابا جديدا يُركّز على الإثنوقومية؛ الوحدة الثقافية والتقاليد الوطنية؛ فجوهر خطابه الحدودي بات يعتمد لغة الخلط المتماهية فتارة نجده يخلط بين الفئات الدّينية أو القومية أو العرقية أو الثقافية، وتارة أخرى نجده يخلط بذكاء الدّلالات المتعددة للتهديد كالهجرة؛ دين الهجرة؛ التعددية الثقافية؛ الطائفية؛ الأصولية الإسلامية؛ الإسلام الراديكالي؛ الإرهاب الإسلامي أو الفاشية الخضراء(Ivaldi)، كلّها مصطلحات قابلة للتبادل والتّداخل الذي يعمّق خطاب التنافر بين الإسلام والمسلمين؛ وفي المقابل يؤسّس «اليمين المتطرّف» لحالة اللاندماج بين الفرنسي والفرنسي المسلم، بتنصيب نفسه مرافعا عن التميز الثقافي، الإثني والديني الأوروبي، ليصوّر من خلال ثنائية «نحن» و«هم» مجموعات المهاجرين كتهديد للوحدة القومية؛ التماسك الوطني، وتحريف لنمط الحياة المحلية الأمر الّذي حقّق له نجاحات انتخابية لافتة.

وفي الأخير ما يمكن أن نضيفه كملاحظة أن الشعبية التي يحظى بها خطاب «اليمين المتطرّف» لدى النّاخب الأوروبي بما فيها لفرنسي؛ لا تعكس بالضرورة اقتناع الأخير ببرنامج الآخر السياسي بقدر ما تمثّل استجابة لنسق فكري وتصور نمطي في عقل الأوروبي عن المسلمين في أوروبا، ترسّخت أكثر عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

وبالتالي فحتى المركّب السياسي يعكس الصورة السلبيّة المرسومة مجتمعيّا على الإسلام في فرنسا؛ كما ويساهم في تنميتها وتعميق مشاعر «رهاب الإسلام».

3.2 التّعليم وصناعة الإسلاموفوبيا مجتمعيّا:

يعدّ التعليم مصدر قلق للمجتمعات متعدّدة الدّيانات، وذلك لعدم قدرة الدّول في كثير من الأحيان ومن بينها فرنسا تحقيق معادلة «التعليم الناجح»(Successful Education) القائم على الأخلاق؛ الإنسانيّة؛ احترام الاختلاف والتّنوع في الآراء؛ وكذا الثّقافات والديانات فالإيمان في الحقيقة مسألة شخصية؛ حميمة وخاصّة، ولكن دراسته ليست بالأمر المحرّم أو المجرّم بل أمر مشروع من أجل بلوغ الهدف الرّئيسي للتعليم النّاجح؛ ألا وهو تشكيل مواطن متوازن متقبّل للآخر، وعليه فنظام «التعليم

الناجح» مسؤولية يتقاسمها المعلمون؛ الآباء؛ المجتمع المدني؛ الدّولة؛ السياسيون والنخب (للتّوسع انظر: Cherif, 2015, pp. 1-48)؛ وبالعودة للنموذج الفرنسي السّؤال المطروح: هل تحقق منطق «التعليم الناجح» في دولة قويّة كفرنسا؟ وما هي طبيعة العلاقة بين التعليم الفرنسي والإسلام؟ الإجابة حسب التقارير تقر بتطوّر التّعليم الفرنسي، أمّا بالنّسبة لطبيعة العلاقة بين التعليم الفرنسي والإسلام فهنا الإشكال، فبتتبّع الخط التواصلي للإسلام في الكتب المدرسيّة الفرنسيّة يُظهر أنّ الصورة المأخوذة عن الإسلام والمسلمين هي امتداد للصّورة التاريخيّة التراكميّة المأخوذة عن هذا الدّين؛ حضارته وأتباعه؛ ففي دراسة "دومنيك مينجوينو" (Dominique Maingueneau) حول خطاب وأيديولوجيّة المدرسة في عهد الجمهوريّة الثالثة؛ يذكر أنّ الدّين الإسلامي قُدّم بصورة سلبية للغاية إذ صُوّر على أنّه مأخوذ من الدّيانتين المسيحيّة واليهوديّة بما معناه أنّه دين غير رباني، كما ووُصف بأنّه دين جنس؛ تطرّف وغزوات، دين لا يشجّع على تطوّر الإنسانيّة، أمّا شخص الرّسول عليه أفضل الصّلاة والسّلام فقد وصف بأرذل الصفات، أما بخصوص المسلمين فهم بشر يغلب عليهم الرّكود إلى الأرض؛ إراقة الدماء وتدمير الحضارات(Dominique, 1979)

وفي دراسة أخرى قدّمتها الباحثة اللبنانيّة "مارلين نصر"(Marlène Nasr) موسومة: «صورة العرب ضمن كتب التعليم الابتدائي» (L'image des Arabes dans les manuels de lecture de l'enseignement primaire)؛ والتي تناولت في إطارها الصّورة المرسومة حول الإسلام والمسلمين في الكتب المدرسيّة الفرنسيّة، معتمدة في كلّ مرة مقارنة الصورة الأخرى المرسوم عن الفرنسي، فالمسلم حسبهم هو ذلك العربي؛ البدوي وساكن الصحراء، والمسلم ضمن الكتب تابع للفرنسي، فوجوده مرهون بوجود الفرنسي، أمّا عن مقارنته بالفرنسي ذاته فهو يحتل مكانة دونيّة بالنسبة له من حيث العقليّة الأخلاق وحتى الوظيفة التي يشغلها.(Nasr, 1992, pp. 18-34)

أمّا الدّراسة الثّالثة والأخيرة التي تم اختيارها؛ فهي دراسة قدّمتها الباحثة "بيتريس مابيليون بونفيلس"(Béatrice Mabilon-Bonfils) موسومة: «الإسلام في الكتب المدرسيّة الفرنسيّة: كيف تنشر المدرسة الصّور النّمطيّة؟» (islam des manuels scolaires français: Comment l’école diffuse des stéréotypes?)؛ حاولت عبرها إعطاء إجابات لأسئلة مختلفة حول الهياكل النمطية التي تواصل الكتب المدرسية المعاصرة المخصصة للتلاميذ بناءها، أهمّها: ما هي صورة الذات وما هي صورة الآخر التي تبنيها الكتب المدرسية؟ وما هي صور الإسلام التي تنتجها المدرسة الفرنسية؟

ترى الباحثة أن الصورة النمطية التي تحويها الكتب في الماضي أو حتى اليوم هي صورة تبسيطيّة وتهميشيّة لدور الإسلام في بناء التقدّم الأوروبي بما فيه الفرنسي؛ فالكتاب المدرسي وخاصة الطور الثانوي يعاني من فقدان ذاكرة مقصود سواء للحقيقة الدينية أو حتى التاريخية، وكذا للإسلام أو المجتمعات الأفريقيّة (ففي سنة 2013م كان التاريخ الأفريقي غائبًا تقريبًا عن مناهج التعليم الثانوي)، وهو ما يؤكّد استمراريّة استنساخ القوالب النمطية والتّحيزات؛ وكذا عملية التصنيف والتعميم التي يمكن أن تعزز

بالتالي نظرة تخطيطيّة ومشوهة للآخر، وهو ما يتوافق مع مسح «نارس» L'enquête de Nars (2001الذي خلُص إلى احتواء الكتب المدرسية على العديد من الصور النمطيّة، فقد تم حصر صورة المشهد الحضاري لصالح الصحاري النفطية المصدر الوحيد للثروة، مع إبقاء الصّورة النمطية للعرب في حالة الدونية، واختزال الإسلام في مكونه العربي فقط، وإبراز المناهج لثنائية العربي والفرنسي بوضوح.

وعلى الرغم من عدم بقاء الصور السلبية صريحة في الكتب مثلما كانت عليه في الثمانينات إلا أن الباحثين يقرون أن الكتب الحديثة ما تزال تحتفظ بصورة تفوّق الثقافة الغربية، ففي سنة 2011م نشر «معهد جورج إيكيرت»(«2015 Nesselrodt» l'Institut Georg-Eckert)- وهو مركز أبحاث متخصص في التحليل المقارن للكتب المدرسية- نتائج دراسة معمَّقة حول صورة الإسلام في مجموعة من كتب التاريخ والتربية المدنية من دول أوروبية مختلفة (ألمانيا، النمسا، فرنسا، إسبانيا وبريطانيا العظمى)؛ خلص فيها إلى أنّ معظم الكتب المدرسية الأوروبية تنقل صورة قديمة وبسيطة عن الإسلام، ويقدمون هذا الدين على أنه «آخر» ويتعارض مع مبادئ الحداثة الغربية، ولا ينتشر إلا بحدّ السيّف.

والأهم من ذلك أن جميع الكتب المدرسية (للمعلمين وكذا المتعلمين) التي تم تحليلها من قبل الباحثة "بيتريس مابيليون بونفيلس" وفريقها سنة 2015م (تمثل أكثر من 80٪ من جميع الكتب المدرسية) تنقل الصورة النمطية عينها عن الإسلام والمسلمين؛ حيث يُنظر إليهم على أنهم مجموعة متجانسة وثابتة؛ خارجة عن أوروبا، تُظهر وجود حضارتين متماسكتين ومختلفتين جدًّا، وغالبا ما تكون العلاقة بينهما عدائية (الإسلام مقابل أوروبا)، أمّا عن الثقافة الإسلامية فهي تنحصر في الجوانب الدينية والدينية فقط، مع إبراز الطابع المتخلف للإسلام وقدرته الضعيفة على التكيف مع العالم الحديث، أمّا المسلم فيُمَثَّل في صورة «الآخر»؛ الخصم العنيف غير القابل للتكيف والاندماج، ويخلص المؤلفون إلى أن الطريقة التي تقدِّم بها الكتب المدرسية الأوروبية الإسلام تشير إلى وجود فجوة ثقافية لا يمكن التغلب عليها، والتي لا تفضل الاندماج السياسي والاجتماعي للمسلمين، ويظهر هذا من خلال إعادة إنتاج هذه الكليشيهات في مضامين الكتب، لتبرز وتبرر هذه الأخيرة صعوبات دمج المسلمين في المجتمعات الأوروبية.

لذلك يبدو أن الأبحاث جميعها والّتي أجريت حتى الآن متسقة وتتلاقى في نقاط مشتركة أهمها:

أ. المعاملة الجزئيّة والاختزالية للإسلام في الكتب وربطه ببعض الأحداث؛ مثل: «الهجمات الإرهابية» أو «الإسلامية» أو «11 سبتمبر» أو «الإرهاب» أو «بن لادن»، وبالتالي الاختزال الضمني للإسلام في الإسلام الراديكالي وحتى الإرهابي؛ وصعود الإسلامويّة في الشرق الأوسط.

ب. علمانيّة المدارس في مواجهة الحجاب (كتب السنة الأولى ثانوي في فرنسا تعالج قضية الإسلام من خلال حدثين فقط هما: 11 سبتمبر ومسألة الحجاب المدرسي).

ت. أولوية الأسلمة على الإسلام.

ث. تصوير المسلمين على أنهم أجانب في أوروبا بما فيها فرنسا (للتوسّع انظر: Mabilon-Bonfils, 2019, pp. 59-74)

أمّا بالنّسبة لتموقع اللّغة العربيّة في الخارطة اللّغوية المدرسيّة، فهي مغيبة تماما بالمقارنة مع نظيرتها الإنجليزيّة، وعلى الرّغم من المبادرة التي قدمها وزير التربية والتعليم الفرنسي "ميشيل بلانكيه"(Jean-Michel Blunky) سنة 2018مبناءعلى تقرير لـ: «معهد مونتاني»(Montagne Institute) للدّراسات والبحوث في باريس؛ بتعليم اللّغة العربية في المدارس العمومية بهدف محاربة ما سماه «الإسلام المتطرّف»، هذا المقترح يبدو حسنا للوهلة الأولى إلاّ أنّ الكثيرين اعتبروه مقترحا أيديولوجيا وسياسيّا أكثر من كونه تربويا، كونه يهدف إلى تضييق الخناق على الجمعيات الإسلامية والمساجد التي تقوم غالبا بهذا الدّور؛ وبالتّالي إفراغ المساجد من أبناء الجاليات المسلمة كي لا تعرف دينها ولا تتشبث بمعتقداتها وهو التّصريح الذي قدّمه "ياسر لواتي"(Yasser Louati) (مؤسس «الهيئة من أجل العدالة والحرية للجميع») للجزيرة نت(Al Jazeera Net).(أبو مريم، 2018)

3. المثلّث الدراماتيكي وتحليل العلاقة السيكومجتمعيّة للإسلاموفوبيا في فرنسا:

يظهر من خلال معالجة العنصر الثّاني من هذا المقال أنّ «الثّالوث الإسلاموفوبي» في فرنسا ساهم وبدرجة كبيرة في زراعة رهاب مجتمعي من الإسلام، فاحتكاك المسلم بمركّبات «الثّالوث الإسلاموفوبي» أفرز علاقة سيكومجتمعية، استدعت منّا طرح ثلاثة أسئلة تدور حول: من هو الضّحيّة؟ من المعتدي؟ ومن المنقذ؟ وهي نفسها الأسئلة التي طرحها "ستيفن كاربمان" (Stephen Karpman) في «مثلثه الدراماتيكي» (Le triangle dramatique) أو «الثالوث» (triad) (للتّوسّع انظر: Triangle SVP de Karpman و Bourreau-victime-persécuteur : quel jeu joue l'islam dans le triangle dramatique?(24/1/2015), 2020)والتي وجدنا فيها مدخلا نظريا استكماليا لما تمّ التّعرّض له سابقا.

"فكاربمان" يرى أنّ معالجة أي قضية مهما بلغ تشابكها وتعقيدها يكون عبر تحديد الأدوار الثلاثة «الضحية» (هو من يريد جلب الانتباه إليه ولقضيته؛ وهو المحرك لظهور الدور الرمزي لكل من الجلاد والمنقذ)، «الجلاد»(هو من يسيء استخدام السّلطة أو الرغبة في الحصول عليها على حساب الضّحية؛ وهو الذي يضع الحدود، القواعد والقيود) و«المنقذ» (إنقاذ الآخر هو سبب وجوده حتى لو كان ذلك يعني خسارة ماله، وقته وكرامته؛ وهو يحتاج إلى مضطهد لإلقاء اللّوم وضحية لإنقاذها)؛ فبعد تحديد هذه المفاتيح يسهل فهم القضية وحل لغزها، فإذا ما ربطنا مضمون «المثلث الدراماتيكي» مع كل ما تم التعرض إليه سابقا نجد أنّ دور «الضحية» أخذه المسلم كونه مستهدَف في كل قضية يُسال فيها دم أو يشم فيها رائحة عنف، أما عن «الجلاد» فهم كثر نذكر: الإعلام المغرض؛ السياسة (اليمين المتطرف والسياسيين العنصريين)، التعليم(وزراء عنصريون ومناهج اختزاليّة) وكل قادة الرأي المؤثرين سلبا في القضية وكذا المثقفين الفرنسيين ذوي الفكر الإسلاموفوبي، أما عن «المنقذ» فهم كثر أيضا إلا أن دورهم يبقى ضعيفا بالمقارنة مع الوتيرة السريعة التي يتخذها «الجلاد»؛ وهنا نذكر: اليساريين في فرنسا، المراكز والمنظمات المناهضة للعنصرية والإسلاموفوبيا في فرنسا أهمّها: CCIF، ومختلف قادة الرأي المناهضين للإسلاموفوبيا في فرنسا، وبهذا نقدّم المطابقة بين «مثلّث كاربمان» و«الثالوث الإسلاموفوبي» السابق التّعرض له:

الشّكل رقم 05: مركبات الثالوث الإسلاموفوبي وفق منظور المثلث الدراماتيكي:

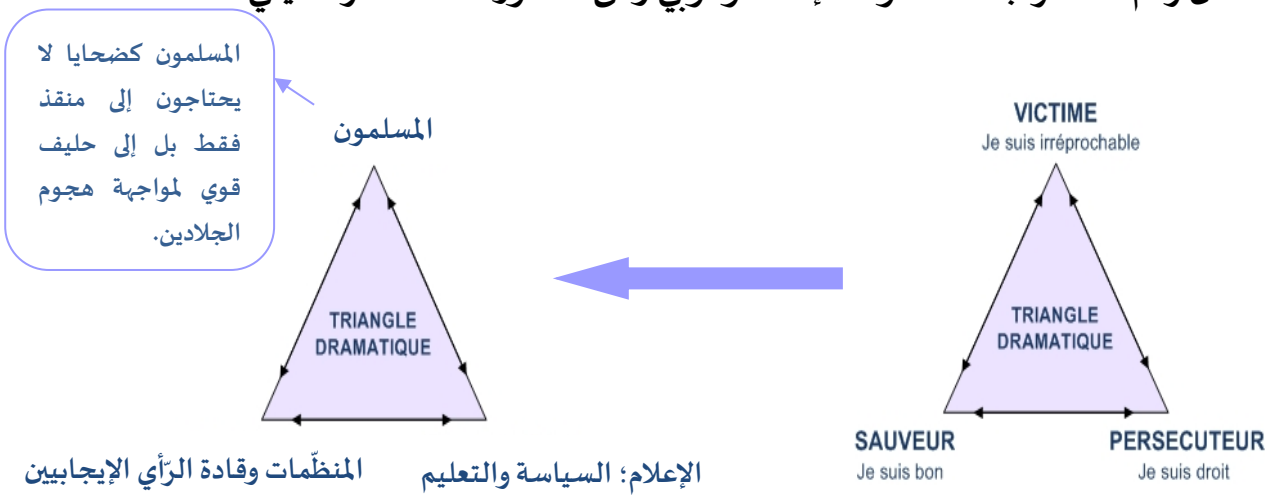

المصدر: من إعداد الباحثة

بعد معرفة الأدوار التي يلعبها كل مركّب من مركبات «الثّالوث الإسلاموفوبي»، نقدّم الحجج التي يعطيها كل من «الضحيّة»؛ «الجلاد» و«المنقذ» أثناء عمليّة الاتصال والاحتكاك، لتبرير الذّات والضّفر باللّعبة:

الشّكل رقم 06: ما يُعتقَد وما يجب بالنّسبة لمركبات المثلث الدراماتيكي:

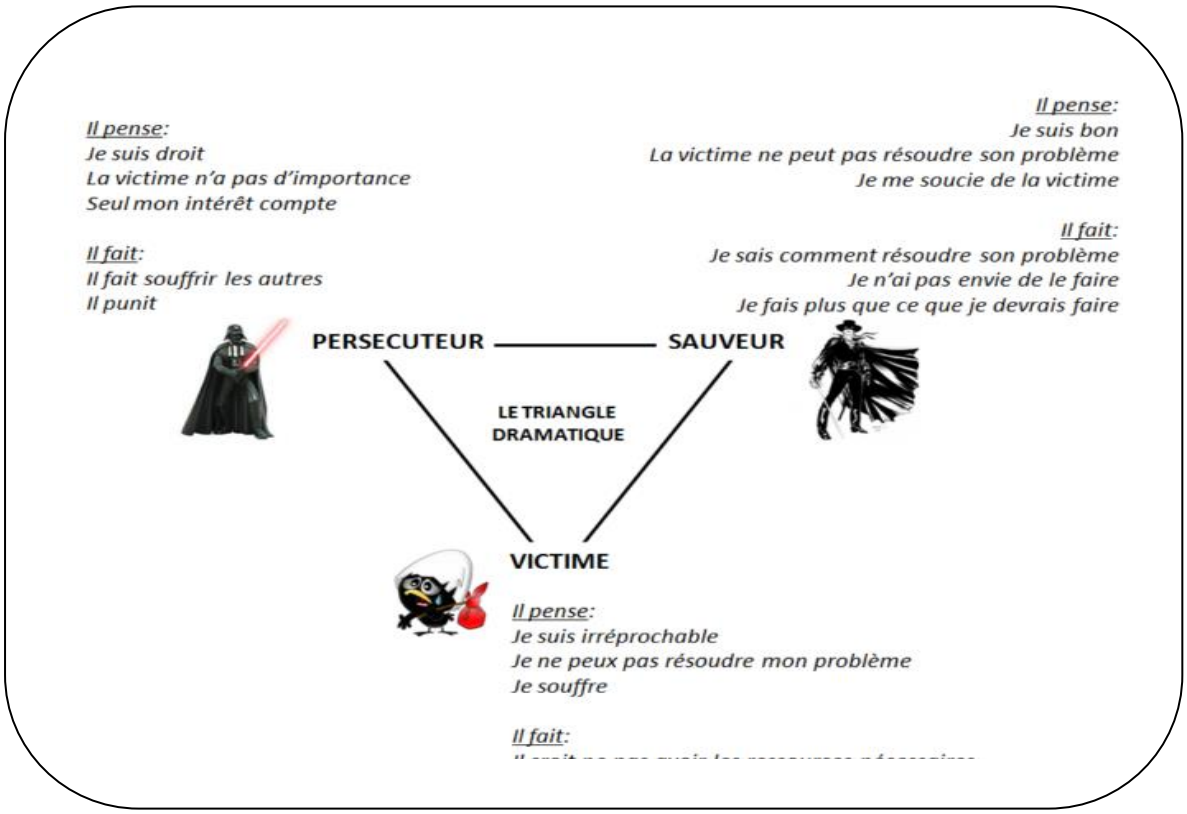

Source: (Bourreau-victime-persécuteur : quel jeu joue l'islam dans le triangle dramatique?(24/1/2015), 2020)

بعد معرفة الأدوار التي يلعبها كل مركّب من مركبات «الثّالوث الإسلاموفوبي»، يُظهر الشّكل رقم 06 الحجج التي يعطيها كل من «الضحيّة»؛ «الجلاد» و«المنقذ» أثناء عمليّة الاتصال والاحتكاك، لتبرير الذّات والضّفر باللّعبة.

ننوّه في الأخير أنّ أدوار اللّاعبين متغيّرة بحسب نوع المتحدّث، فحسب الطّرح الفرنسيّ الضحية هم الفرنسيّون شعبا ودولة؛ وهنا الحديث بالدرجة الأولى عن فئة الفرنسيين المتشبعون بالروح الفرنسيّة والمتأثرة بالتراكمات التاريخيّة من جهة وفكرة المحافظة على نقاء الهويّة من جهة أخرى، أمّا الجلادون فهم المسلمون، في حين المنقذ حسب هذه الفئة من الفرنسيين فيتمثّل في السلطات الرسميّة وكذا اليمين المتطرّف بأفكاره المدافعة عن نقاء الهويّة، أما إذا ما أخذنا تصوّر الطرف المسلم وهو التّصوّر ذاته المشار إليه ضمن المقال، نجد المسلمون هم ضحايا سياسات، قوانين وأفكار الجلاد الّذي قد يكون حكومة، سياسيّون، ناشطون، رؤساء، مسؤولون، موظّفون، مواطنون...إلخ، ليأتي المنقذ على شاكلة ناشطين في حقوق الإنسان، منظمات محليّة أو دوليّة ودول مناهضة للعنصريّة والإسلاموفوبيا.

وبهذا يظهر أن ثلاثيّة الضّحيّة، الجلاّد والمنقذ تتغيّر بتغيّر الطّرف المتحدّث، الأمر الّذي يجعل من تبني تحليل أحادي الاتجاه سواء كان خادما للطّرف المسلم أو نظيره الفرنسي، ناقصا إن لم نقل ذاتيا، فقضيّة «رهاب الإسلام» في فرنسا هي أعقد بكثير من أن تحلّل من زاوية واحدة عند ربطها بتحليل مثلّث "كاربمان"، حيث لكلّ طرف حججه الّتي تجعل منه ضحيّة والآخر جلاد.

4.خاتمة:

لقد تطوّرت ظاهرة الإسلام في أوروبا ضمن خط زمانيّاتي تصاعدي نحو السلب، فمن مرحلة الإسلام الهادئ إلى دخول الجيل الثّاني من المهاجرين وصولا إلى مرحلة المواجهة بين المسلمين والمجتمعات الأوروبيّة، عرف تاريخ العلاقة بين الطّرفيْن مدّا وجزرا تحكّمت فيه وفي غالب الأحيان الأحداث الواقعة على الصّعيد الدّولي أو الأوروبي، أمّا بخصوص كيفيّة تعامل الواقع الأوروبي مع تواجد الإسلام والمسلمين، فهو لا يختلف كثيرا عن الواقع الفرنسيّ إلاّ في قضيّة اللّيونة، الأمر الّذي يفسّر ارتفاع أرقام «ظاهرة الإسلاموفوبيا» في فرنسا، فموقع الإسلام في الخارطة الدّينيّة الفرنسيّة وتمظهره في عدّة أشكال فضلا عن ارتفاع نسبة المسلمين فيها سنويّا ووجود قاعدة حزبيّة وإعلاميّة رافضة للوجود الإسلامي، كلّ هذا جعل النّهج الفرنسيّ يختلف في تعامله مع القضيّة برمّتها وخاصّة مع ربط الإسلام والمسلمين فيها بقضيّتي الهويّة والاندماج، اللّتان تتحقّقان حسب النّموذج الفرنسي «تذويب الهويّة» (Dissolving identity)بتجرّد المسلم من كلّ المظاهر الّتي تعبّر عن إسلامه من جهة، ومن جهة أخرى تقبّل قيم الآخر والانفتاح عليها، وهو ما رفضته الجالية المسلمة قطعا.

وما زاد من تعقّد ظاهرة الإسلام باعتبارها ظاهرة اجتماعيّة جديدة ضدّ الحداثة، ضدّ الجمهوريّة، ضدّ الدّيموقراطيّة، ومعادية للعلمانيّة حسب الطّرح الفرنسي هو اقترانها بمشاعر الخوف، القلق والعداء

هذه الثّلاثيّة الّتي تمّ تغذيتها في مختلف المحطّات التّاريخيّة الّتي جمعت بين فرنسا كدولة والإسلام كظاهرة، عن طريق «الثالوث الإسلاموفوبي» هذا الأخير الّذي ساهم عبر مركّباته الثلاث وبدرجات متفاوتة في خلق وإبراز إشكاليّة المُغايرة أو الآخريّة(Altérité)لتظهر بوضوح ثنائيّة «نحن» و«الآخر» في مختلف السياقات الضمنيّة والظاهرة، الكتابيّة والشفويّة من أجل فرض صورة نمطيّة سلبيّة عن الآخر المسلم.

ومن الأمور المتفق عليها أن الآلة الإعلامية تسير جنبا إلى جنب مع الآلة السياسية وهو الأمر عينه المنطبق على مركّبات «الثّالوث الإسلاموفوبي»، فالمتتبّع لكرونولوجيا تطوّر «ظاهرة الإسلاموفوبيا» في فرنسا يلاحظ التزاوج الفعلي بين الإعلام والسياسة الفرنسيّة، أين يتم توظيف الإعلام لتمرير وتبرير أي سياسة تقرها الأحزاب أو حتى الدّولة، وهو ما يترجم تبعيّة الإعلامي للسّياسي، ليأتي «المركّب التّعليمي» هو الآخر من خلال تقديم صورة تبسيطيّة وتهميشيّة لدور الإسلام في بناء التقدّم الأوروبي بما فيه الفرنسي من جهة وتكريس فكرة الفوقيّة من جهة أخرى. عاكسا للأجندة السّياسيّة للدّولة، وهو ما يُظهر تبعيّة كل من المركّبين الإعلامي والتّعليمي للمركّب السّياسي، وعند ربط هذه المركّبات بالسّياق المجتمعي نجد أنّ مكوّنات المركّبات هم بشر مواطنون فرنسيون، وما تصرّفاتهم إلاّ انعكاس لعصارة التّرسبات التاريخية المكرّسة لمشاعر الخوف والعداء الّتي قاموا بتشرّبها، وهو ما يقودنا للقول أنّ ظاهرة الخوف من الإسلام هي ظاهرة اجتماعيّة بالدّرجة الأولى وذلك لكون الإعلامي هو مواطن فرنسيّ يعبّر عن أفكار تربّى ونشأ عليها، وهو حال كلّ من السّياسي أو المدرّس.

أمّا بالنّسبة لكيفيّة تقمّص أدوار «المثلّث الدّراماتيكي» فتبقى نسبيّة حسب نوع المتحدّث، فالفرنسيّ المتبنّي لأفكار الخوف والعداء للإسلام والمسلمين في فرنسا، يرى أنّ الفرنسيّين دولة ومجتمعا هم الضحايا، أمّا الجلاّدون فهم المسلمون المتواجدون في فرنسا باعتبارهم تهديدا للأمن والهويّة الفرنسيّة، ليبقى المنقذ حسبهم متجسّدا في السلطات الرسميّة وكذا اليمين المتطرّف، أمّا إذا ما تحدّث الطّرف الآخر فنجد أنّ دور الضّحيّة يتقمّصه المواطنون المسلمون، أمّا الجلاّدون فهم كل فرنسي عنصري ومعاد للإسلام(سياسي، إعلامي، مدرّس، مسؤول، موظّف، مواطن...إلخ)، في حين تلعب التّنظيمات المدافعة عن الإسلام والمسلمين إلى جانب الأطراف الدّوليّة دور المنقذ.

المصادر والمراجع:

أوّلا: المراجع باللغة العربية:

1. رابح الصّادق. (13-11 نوفمبر, 2006). دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام-الإسلاموفوبيا. 39-21. حلب، في مصادر الرّؤية الإعلاميّة الفرنسيّة للإسلام، سوريا.
2. رابح زغوني. (31 مارس, 2014). الإسلاموفوبيا وصعود اليمين المتطرّف في أوروبا: مقاربة سوسيوثقافيّة . *المستقبل العربي، 36* (421)، صفحة 123،136،137.
3. سلمان عبد المالك. (2009). ظاهرة الإسلاموفوبيا ومستقبل العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب. *مجلة الشؤون الخليجية* (59)، صفحة 108.

4. مختار مروفل. (مارس, 2010). الإسلاموفوبيا في فرنسا من الموروث الكولونيالي إلى ازدواجية المعايير العلمانيّة قراءة نقديّة. *نقد وتنوير* (4)، صفحة 166.
5. هاينر بيليفيلد. (2008). صورة الإسلام في ألمانيا رُهاب الإسلام «الإسلاموفوبيا»- مفاهيم متباينة وخيارات سياسية للتعامل. *المستقبل العربي* ، صفحة 111،110.
6. هشام أبو مريم. (16 9, 2018). *تعليم العربية بمدارس فرنسا.. ماذا وراء الهدف المعلن؟* تاريخ الاسترداد 23 7, 2023، من الجزيرة نت:
https://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2018/9/16
7. ياسين مهدي صالح. (بلا تاريخ). ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب (الإسلاموفوبيا) ومواجهتها فكريا.
http://www.iasj.nrt?Func:fulltext&old: 72165.
8. بيومي ,ع .(21 06 ,2008) .
http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2006/10/12/,(21/06/2008), (21:08). Consulté le 10 12, 2006, sur http://www.aljazeera.net/knowledgegate/opinions/2006/10/12/

ثانيا: المراجع باللغة الإنجليزيّة:

1. considine, C. (2017, 8). the Racialization of Islam in the United States: Islamophobia, hate Crimes, and flying while brown. *Religions* (168), p. 6.
2. Mabilon-Bonfils, B. (2019, march 1). L'islam des manuels scolaires français: Comment l'école diffuse des stéréotypes. *Social coheSion and development* (13), pp. 59-74.
3. NGO paper: what does "Islamophobia "mean? . (2013, 09 26). *OSCE Human Dimension Implementation Meeting* , 3. International Civil Liberties-IClA-.
4. NGO paper: what does "Islamophobia "mean? (2003, 9 26). *OSCE Human Dimension Implementation Meeting* , 2. International Civil Liberties-IClA-.
5. NGO paper: what does "Islamophobia "mean? (2013, 9 26). *OSCE Human Dimension Implementation Meeting* , 2. International Civil Liberties-IClA-.
6. The problematic definition of Islamophobie International Civil liberties Alliance ICLA. (2013, September 20). *liberties Alliance .org/.../islamophobie-definition, PDF* , 4،5،18.

ثالثا: المراجع باللّغة الفرنسيّة:

1. *Bourreau-victime-persécuteur : quel jeu joue l'islam dans le triangle dramatique?(24/1/2015)*. (2020, 7 30). Récupéré sur Rédigé par VDV Publié dans Définitions et fondamentaux, Overblog: http://des-outils-pour-cerner-l-islam.over blog.com/2015/01/le-persecuteur-la-victime-et-le-sauveur et-si-les-3-monotheismes-formaient-le-triangle dramatique.html,
2. Cherif, M. (2015, mars). Éducation et islam. 1-48. paris, La Fondation pour l'innovation politique, france: La Fondation pour l'innovation politique.
3. chris, A. (2010). *Contemporary Islamophobia before 9/11: Abreif History in Islamophobia and Anti-Muslim Hatred: causes &Remedies* (éd. 7, Vol. 4). (A. faliq, Éd.) London: the Cordoba foundation.
4. Deltombe, T. (2007). *L'islam imaginaire La construction médiatique de l'islamophobie en France, 1975-2005.* Paris , france: La Découverte.
5. Dominique, M. (1979). *Les livres d'école de la République (1870-1914)- Discours et idéologie-*. Paris: le Sycomore.
6. Ivaldi, G. F. (s.d.). *L'extrême droite et l'islam : fractures idéologiques et stratégies électorales*. Récupéré sur l'hommes et migrations:https://journals.openedition.org/hommesmigrations/37 89#tocto1n5

7. *L'islam, objet médiatique L'islam dans la presse quotidienne nationale - 1997-2015",*. (s.d.). Récupéré sur http://islam-objet-mediatique.fr/#cover.
8. Nasr, M. (1992). L'image des Arabes dans les manuels de lecture de l'enseignement primaire. *Les langages du politique* (30), pp. 18-34.
9. NGO paper: what does "Islamophobia "mean? (2013, 09 26). *OSCE Human Dimension Implementation Meeting* . International Civil Liberties-IClA-.
9. (2008). *Premier rapport de l'observation de l'OCI, Islamophobie, pour présentation au 11ème sommet islamique.* Daker-République de Sénéga.
10. *Bourreau-victime-persécuteur : quel jeu joue l'islam dans le triangle dramatique?(24/1/2015)*. (2020, 7 30). Récupéré sur Rédigé par VDV Publié dans Définitions et fondamentaux, Overblog: http://des-outils-pour-cerner-l-islam.over blog.com/2015/01/le-persecuteur-la-victime-et-le-sauveur et-si-les-3-monotheismes-formaient-le-triangle dramatique.html,
11. Cherif, M. (2015, mars). Éducation et islam. 1-48. paris, La Fondation pour l'innovation politique, france: La Fondation pour l'innovation politique.
12. chris, A. (2010). *Contemporary Islamophobia before 9/11: Abreif History in Islamophobia and Anti-Muslim Hatred: causes &Remedies* (éd. 7, Vol. 4). (A. faliq, Éd.) London: the Cordoba foundation.
13. Deltombe, T. (2007). *L'islam imaginaire La construction médiatique de l'islamophobie en France, 1975-2005.* Paris , france: La Découverte.
14. Dominique, M. (1979). *Les livres d'école de la République (1870-1914)- Discours et idéologie-*. Paris: le Sycomore.
15. Ivaldi, G. F. (s.d.). *L'extrême droite et l'islam : fractures idéologiques et stratégies électorales*. Récupéré sur l'hommes et migrations:https://journals.openedition.org/hommesmigrations/37 89#tocto1n5
16. *L'islam, objet médiatique L'islam dans la presse quotidienne nationale - 1997-2015",*. (s.d.). Récupéré sur http://islam-objet-mediatique.fr/#cover.
17. Nasr, M. (1992). L'image des Arabes dans les manuels de lecture de l'enseignement primaire. *Les langages du politique* (30), pp. 18-34.
18. NGO paper: what does "Islamophobia "mean? (2013, 09 26). *OSCE Human Dimension Implementation Meeting* . International Civil Liberties-IClA-.
19. (2008). *Premier rapport de l'observation de l'OCI, Islamophobie, pour présentation au 11ème sommet islamique.* Daker-République de Sénéga.
20. Soonckindt-Chauchard, S. (s.d.). Les médias, vecteurs d'une image négative et stéréotypée des musulmans: mythe ou réalité? Ecole de journalisme et de communication.
21. The problematic definition of Islamophobie International Civil liberties Alliance ICLA. (2013, september 20). *liberties Alliance .org/.../islamophobie-definition,pdf* , 3.
22. *Triangle SVP de Karpman.* (s.d.). Récupéré sur http://jmi67.free.fr/psycho_ docs/triangles_jeux_psy.PDF.